جماليات الاستعارة في قصيدة "المرأة" لعيسى أَلَبِي: دراسة تحليلية

إعداد

مجتبى يوسف بتوري

قسم اللغة العربية، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة إلورن، إلورن – نيجيريا

Mobile Phone No: +٢٣٤٨٠٣٢٦٦٧٨٥٠

mail Add.: yusuf.mb@unilorin.edu.ng-E

المستخلص

تعد الاستعارة من أحسن ما تصبغ الشعر الفني بهاء، وتلبسه رونقا وحسنا لم يعهده من قبل، وكان عيسى ألابي من العمالقة الشعراء النيجيريين المعاصرين الذين ولوا اهتمامهم شطر هذا الجانب البياني؛ مما دفع الباحث إلى اختيار إحدى قصائده نموذجا لهذه الدراسة. وتهدف هذه المقالة إلى دراسة تحليلية لجماليات الاستعارة في قصيدة"المرأة" لعيسى أَلبِي مستخدما المنهج الوصفي ومنتهيا إلى أن القصيدة المدروسة مملوءة باستعارات جميلة واقعة في أمكنتها المناسبة، وصالحة لوصف المرأة في الشعر العربي النيجيري.

الكلمات المفتاحية: جماليات، الاستعارة، عيسى ألبي، قصيدة "هذه المرأة"

ABSTRACT

Metaphor is one of the best things that paints artistic poetry with splendor, and dresses it with elegance and beauty that it has not known before. Isah Alabi was one of the giants of contemporary Nigerians poets who attention to this graphic side, which prompted the researcher to choose one of his poems as a model for this study. This article aims at an analytical study of the aesthetics of metaphor in the poem (The Woman) bu Isah Alabi, using the descriptive method, and concluded

that the studied poem is filled in with beautiful metaphors located in their appropriate places, and is suitable for describing women in Nigerian Arabic Poetry.
KEY WORDS: Aesthetics, Metaphor, Isah Alabi, The Poem (The Woman)

المقدمة:

يعد عيسى ألبي فحلا من فحول الشعر العربي في نيجيريا، وفارسا من فرسانه المتحكمين فيه، قال الشعر مذ كان يافعا، وظل مواظبا على دراسته وتجويده وتصقيله حتى قويت شوكته، وتفجرت ينابيعه، فامتاز شعره بحسن الديباجة، وعلو البلاغة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة (جمبا، ٢٠٠٥م)

ومن الميزات التي تميز بها شعر عيسى ألبي جماليات الاستعارة في أمكنة حسنها وبلاغتها، حيث تأتي إشكالية هذه المقالة في البحث عن تلك الجمالات ودراستها التحليلية، ومن حيث البحث عن آثار الاستعارة الجمالية مما يسوغ لهذه المقالة الإتيان بعد – المستخلص والمقدمة – في ثلاثة محاور، وتحت كل محور موضوعات جانبية كما يلي:

- **المحور الأول:** ترجمة حياة عيسى ألبي.
  - مولد عيسى ألبي ونشأته.
  - ثقافته.
  - نظرة عامة في شعره.
- **المحور الثاني:** الاستعارة وسرّها الجمالي.
  - المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة "الاستعارة"
  - الاستعارة وسرها الجمالي.
- **المحور الثالث:** دراسة تحليلية لجماليات الاستعارة في قصيدة "المرأة" لعيسى ألبي.
  - عرض القصيدة.
  - ودراستها التحليلية البلاغية.

ثم الخاتمة المشتملة على نتائج المقالة.

المحور الأول

ترجمة حياة عيسى ألبي

مولد عيسى ألبي ونشأته:

ولد الشاعر عيسى ألبي في عام ١٩٥٣م بمدينة كوماسي بدولة غانة إحدى الدول الأفريقية الغربية رجعت الأسرة بعيسى إلى إلورن في سنه المبكر وانخرط في سلك إحدى كتاتيب إلورن، وقرأ القرآن الكريم على يدى شيخه الشيخ الحاج محمد بن عيسى الغمبري والد الشيخ عيسى جورا قارئ النص القرآني بمنطقة غمبري إلورن كل هذا تحت رعاية أبيه أبي بكر وكنفه.[١]

نشأ الشاعر ألبي وترعرع في حجرة والده على العقيدة الإسلامية والعبادة والسلوك الطيب وتربى بروحية الشعائر والمشاعر ثم تولت رعايته عمته حليمة السعدية أم رحمة الله التي أغبقته بلبان الحنون وألهمته رهافة الحس ولطافة الشعور إذ كانت دارها موئلا يأوي إليه الفقراء والمساكين من التلاميذة والمهاجرين ولم يكد ينتهي إلى البلوغ والرشد حتى برزت مخايل ذكائه وقويت شجاعته الأدبية خصوصا عوامل البيئة التي رحبته في آفاق عديدة فنال منها ما يغذيه قوى عقلية.[٢]

ثقافته:

وأما ثقافته فإنها موسوعية تثير الدهشة والإعجاب، وهي متعددة الأطراف تمتد جذورها إلى البيئات المختلفة التي عاش فيها عيسى ألبي، وثقافته تحتل لدى عيسى ألبي مكانة مرموقة ذلك أنه أدرك أهميتها في التطلع على ثقافة القوم وعاداتهم وآدابهم وفي صياغة العمل الأدبي وتسجيل الفكرة وقد وسع دائرة ثقافته اللسانية بإلمام شديد بأنواع اللغات حتى أحاط بكثير من أسرار هذه اللغات وهذا هو الذي أهله لأن يتمكن في نقل وترجمة الأعمال من لغة يوربا والإنجلزية إلى اللغة العربية ترجمة عربية صحيحة وبالعكس، وفي ذلك يقول أحد الكتاب الأكاديميين مثبتا ثقافته اللسانية "إن الملكة اللسانية ظاهرة من ظواهر شاعرنا إذ هو عرضة لتعدد اللغات والألسن منذ فجر أيامه لأنه مولود في بيئة غانوية أجنبية تضم لغة خارجية أخرى "لغة غانا" إلى لغته الأم "يوربا" فاكتسب في طفولته لغتين مختلفتين وسرعان ما استلم شاعرنا سلاليم الشباب والكهولة، بدأت لغات أخرى تتداعى

عليه فأجلب.ت عليه خيلها ورجلها حيث درس العربية والهوسا والإنكليزية دراسة أصيلة يستطيع أن يعبر عما يجيش في خلده بكل واحدة من هذه الألسن كتابة وشفاها وآية ذلك كون شعره ذا مع.نى مستنبطا من ثقافات لغات عديدة وأن له مقالات أكاديمية في ترحمة بعض أشعار العرب إلى اللغة الإنجليزية[٦]

وألبي إلى ذلك كله لغوي يفهم سر العربية التي أسلست له قيادها طوعا وحبا وكانت تعابيره فصيحة محتوي الألفاظ مشرقة سبك الديباج.ة ثرية مناهل المعاني رشيقة، وهو يتخير ألفاظه من عيون النصوص الأدبية على اختلاف عصورها تزويدا لثروته اللغوية وتوسيعا لقاموسه وتوطيدا لملكته ومقدرته اللغوية.

نظرة عامة في شعره:

يتعبر الشاعر عيسى ألبي أبوبكر فحلا من فحول الشعر العربي النيجري الذين تمتاز أعمالهم الأدبية من حيث الجودة والدقة وحسن السبك ويعتبر أسلوبه من أرقى الأساليب من حيث القوة والوضوح والدقة في التفكير والتعبير.[٣]

ولقد نال ألبي الاهتمام البالغ من الكتاب والباحثين ولقي شعره إعجابهم من قارئ ودارس ومحلل وناقد وكتب عنه عدد كبير من الأكاديمين للحصول على درجاتهم العلمية المختلفة، وله جوائز ودياسين كثيرة، أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام ١٩٩١م[٤]، ونشرت له مجلات أدبية في نيجيريا وبلاد العرب وقصائد عدة. وقد نال من دارسي اللغة العربية ومدرسيها ومحبي الشعر العربي- بوجه أخص- مكانةً مرموقة سواء في الجامعات النيجيرية أم المعاهد العليا في البلاد[٥]

المحور الثاني

الاستعارة وسرّها الجمالي

المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة "الاستعارة":

الاستعارة من عماد البلاغة وأهم مظاهرها التي تثير الدلالة. وقد أولت دارسوا اللغة العربية خصوصا البلاغيين واللسانيين هذا النوع من بين الأساليب البلاغية وصورها اهتماما بالغا؛ لأنها تعمّق المعنى المقصود في الشعر والنثر على

السواء ، كما تعطي كل بيتٍ جاء فيه الاستعارة معانٍ مختلفة حسب عمق فهم السامع وتبحر المتلقي.

والاستعارة من حيث المعجمي هو من فعل استعار يستعير استعارة وهي من المجازي اللغوي أخرج أحد الطرفيه[٧] ومن حيث الاصطلاحي يعرفها القاضي الجرجاني (١٩٦٦, ص ٤٢٨) بأنها "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلًا غير لازم".[٨]

الاستعارة وسرها الجمالي:

وتستخدم الاستعارة كأسلوب بلاغي جمالي يمنح الكلام قوة ويعطيه رونقا وصورة حسنة وجميلة؛ حيث أنها تقدم المعنى مجسدا وواضحا، مما يزيد من الصور الخيالية البديعة في النفس، مثل قول البحتري:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ** طاروا إليه زرافات ووحـــدانا[٩]

وقد قام الشاعر هنا بتصوير الشر وكأنه حيوان مفترس قد كشرّ عن أنيابه، وهو ما يثير الرعب في النفوس لمجرد تخيل الصورة المستخدمة، كما أبدع في تصوير القوم حيث جعلهم كالطيور التي تطير لمهاجمة الأعداء، وهو ما يجلب الإعجاب بشجاعتهم وكأنهم صورا حقيقية ومرئية أمام العين، ولذلك فإن الاستعارة من الأساليب البلاغية التي تمنح الكلام قوة، ووضوحا، وتأكيدا، وسعة خيال وتشخيص.[١٠]

المحور الأول

دراسة تحليلية لجماليات الاستعارة في قصيدة "المرأة" لعيسى ألبي

- **عرض القصيدة:**

المرأة

هذه المرأة أعيـــت كل فكـــر ** فغـــدا كل خبيـــر مثل غـــرّ

همـــة النعـــات في أوصـــافها ** همّـــة في نطـــري باءت بصفر

فإذا ما هم شعـــري وصفهـــا ** لا تماروا أجرأ الأشعار شعـــري

أنت يا مرأة نور أم ظلام ** لوثة الأعصر أم ربت طهر؟
لفحت النّار إذا ما ذقت ظلما ** أم نعيم الخلد في طي ويسر؟
أخت إبليس الذي يغرى الورى ** يتعاطى الفحش والشّرّ بمكر؟
أخت هارون الذي ينهى الورى ** عن فجور وهو معروف ببر؟
أخدعت الشيخ في أكل الحرا ** م لماذا العصى في أول عصر؟
أم غررت العبد في خلوته ** فعصى الله لحسن نيرّ؟
أم هو الإدراك للجنس الذي ** دبّ في الأنفس في سباق دهر؟
قد حباك الله حسنا فاتنا ** يأخذ الألباب في سرّ وجهر
أنت سرّ الله في عالمه ** مصدر الإلهام في شعر ونثر
سامحي الأديان يا بنت العلا ** إن في أخبارها أعجب أمر
أنت لا تغربن في الدنيا فهل ** حره تغري الفتى ربة خدر؟
أنا أهواك وأهوى رقة ** فيك يحكيها نسيم السحر
يا ملاك الأرض كوني لي كما ** كنت في الأزمان طيب العمر
روضتي لا تحرميني كلما ** أبتغي فيك انشراح الصدر
أنت بحر الله في أعماقه ** أعجب الأشياء لا كالبحر
فصليني صلة فيها المنى ** لبقاء الرّوح لا تكمن هجري

دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة:

قصيدة "المرأة" للشاعر "عيسى ألبي" وصف فيها مكانة المرأة في المجتمع وتساءل عن الأوصاف السلبية التي أولاها المجتمع للمرأة على مرّ العصور، وعرض فيها الأدوار الإيجابية التي تلعبها المرأة في الحياة البشرية. ومن موطن الاستعارة في القصيدة ما يلي:

أنت يا مرأة نور أم ظلام ** لوثة الأعصر أم ربت طهر؟
لفحة النّار إذا ما ذقت ظلما ** أم نعيم الخلد في ملي ويسر؟

والشاهد في قوله: "نور أم ظلام"، حيث استعار الشاعر "النور" و "والظلام" في غير معناهما الحقيقي لوجود علاقة المشابهة بين النور والهدى وبين الظلام والضلال. وهذه الصورة تطوي تحت الاستعارة التصريحية حيث استعار الشاعر النور للهدى والظلام للضلال والتيه، وشبههما بالهداية والضلال لعامل ما تدلّ عليه الكلمتان. وفي هذه الصورة الاستعارية كانت الكلمتان النور والظلام هما المشبّهان به، والهداية والضلال هما المشبّهان، وذلك من خلال استعارة المشبه به للمشبّه. والقرينة ما قبل ذلك من أبيات وعبارات توحي بأن المقصود غير المعنى الحقيقي للكلمتين مثل قوله "هذه المرأة أعيت كل فكر" وقوله "همة النعات في أوصافها همّة في نظري باءت بصفر".

ومن الجماليات التي يجلبها استعارة النور والظلام، كما وردت كثيرا في القرآن الكريم، أنها تشير إلى دلالة معنوية تكشف عن حياة الكفر والإيمان والعيش على النور والضلال، كما أنها تصوّر أبعاد كافة هذه الكلمات المستعارة وطباقها لتحقيق غاية الروعة في البلاغة والتأثير في النفوس، خاصة وإن أخذ النور والظلام على إطلاقهما سيعني أن المرأة شمس أم ظلّ، أو ضَوْءٌ وسطوع مقابل انعدام الضَّوء وذهابُ النُّور.

ويلاحظ في البيتين الرابع والخامس من الأبيات السابقة نموذجا آخر للاستعارة؛ وذلك في قوله "لوثة الأعصر"، "لفحة النّار"، و "نعيم الخلد"؛ فكلّها عبارات استعارها الشاعر في غير معناها الحقيقي لوجود علاقة المشابهة بين بين "لوثة الأعصر" و "لفحة النار" والسلبيات التي تنسب إلى المرأة، وبين "نعيم الخلد" والمزايا التي تتميزّ بها المرأة والوصايا الإسلامية للمرأة والتي تساهم في إصلاح الدين

والدنيا وقد تكون سببا في دخول الجنة ونعيم الخلد. والقرينة من هذه النماذج الاستعارية ما قبل ذلك من عبارات وأبيات.

وقد اتضح من تتبع القصائد الشعرية التي تتناولها الدراسة الحالية أن معظم صور الاستعارة وردت في أشعار الشاعر "عيسى ألبي أبوبكر". ومن هذه النماذج والصور ما جاءت في قصيدة هذه المرأة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسّلام على أشراف المرسلين نبينا محمد زعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

استطاعت هذه المقالة بعنوانها: جماليات الاستعارة في قصيدة "المرأة" لعيسى ألبي: دراسة تحليلية" أن تقسم جولتها – بعد المستخلص والمقدمة – إلى ثلاثة محاور، حيث كان الحور الأول عبارة عن ترجمة حياة عيسى ألابي من حيث ولادته، ونشأته، وثقافته، ونظرت نظرة عامة في شعره. وأتى المحور الثاني بيان سر الاستعارة الجمالي، وفصل القول فيه في المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الاستعارة، ثم عن ذلك السر الكامن فيها. وتم المحور الثالث في دراسة تحليلية بلاغية لجماليات الاستعارة في قصيدة "المرأة" لعيسى ألبي، ثم الخاتمة المتوصلة فيها إلى نتائج؛ أهمها ما يلي:

- أن الشاعر ألبي أبابكر يعد فحلا من فحول الشعر العربي النيجري الذين تمتاز أعمالهم الشعرية من حيث الجودة والدقة وحسن السبك، ويعتبر أسلوبه من أرقى الأساليب من حيث القوة والوضوح والدقة تفكيرا وتعبيرا.
- أن الاستعارة فن بياني مستقل عن الحذف الإعرابي يدل معناه على الشمول، وأن لايكون هو في الكلمة نفسها، فالكلمة لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي بعد، وإنمايكون في الإسناد.

يلاحظ أن الشاعر ألبي بلاغي أجاد استعمال الاستعارات، فاكتسب بها شعره جماليات خاصة جعلته متميزة بالقوة والوضوح في الشعر العربي النيجيري.

هوامش:

بودوفو، خليل الله محمد عثمان. ٢٠١٤. *القضايا الإنسانية في شعر عيسى ألبي أبوبكر*. Word Conference of Arabic at Dubai United Arabi Emirate.UNESCO in book ص.٢

أغاكا، عبد الباقي شعيب. تقديم الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا على ديوان الرياض. Alabi prin tineprodultion ص .١٦

قدوس، عبد الله سليمان. ٢٠١٧م. *الظواهر النحوية والصرفية في ديوان الرياض للشاعر النيجيري: عيسى ألبي أبوبكر*. (بحث دكتوراه). مقدم لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية، كلية دراسات اللغات الرئيسية جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ص.٨

المرجع السابق، والصفحة نفسها.

أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى. ٢٠١٣م. " *نماذج من علم المعاني في ديوان عيسى ألبي أبي بكر الإلوري: دراسة تحليلية*". مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. مجلة تخصيصه نصف سنوية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.ص١٧٤.

إسحاق أيوب ٢٠١٠م وصف الكتب في شعر عيسى ألبي أبو بكر دراسة أدبية فنية. (بحث ماجستير). وفاء لبعض متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة إلورن، نيجيريا.

مصطفى علي الجارم : البلاغة الواضحة ، ص ٢٠٦

د. حسين عبيد شراد الشمري. (٢٠١٠). الاستعارة والمجاز المرسل للسّيد أحمد بن زيني دحلان (١٢٣١-١٣٠٤هـ/١٨١٦-١٨٨٦م). for humanities sciences al qadisiya, 13(3).

راجع: www.startimes.com

١٠- راجع: www.khutba.com-article (الاستعارة وأثرها الجمالي في أداء الخطيب)

١١- آلبي، أبوبكر عيسى. ديوان الرياض. مطبعة آلبي للطباعة والنشر. ص ٢٣٠